ARAP DİLİ ve BELÂGATI'NIN İSLAMİ İLİMLERİ ÖĞRENMEDEKİ YERİ

Suliman ALOMİRAT*

Öz

Bazı Müslümanlar Arap dilinin öğrenilmesinin gereksiz olduğunu zannediyorlar. Aksine Arapçanın öğrenimi İslam dininin temel unsurlarındandır. Çünkü Arap dili Kur'an, sünnet ve namazda kullanılan dildir. Ayrıca Arapça, dinî ilimlerin öğreniminde de önemli bir vasıtadır.

Dinî ilimleri öğrenmek isteyen kişinin lügat, sarf, nahiv ve belagat ilimlerinde derinleşmeye ihtiyacı vardır. Çünkü Arapçanın usul, tefsir, fıkıh, tecvid, kıraat, vakıf ibtida ve diğer ilimler gibi dinî ilimler üzerinde de çok belirgin bir etkisi vardır. Bir kimse ancak Kuran'ın dilini belagatı yanında Arapların maksadını ifade etme yollarını tam olarak öğrendiğinde bir ayeti tefsir etmeye, bir hükmü ortaya koymaya ve müşkil bir hadisi tevil etmeye muktedir olabilir.

Bu sebeple bu makale, Arapçanın öğrenilmesinin bir Müslüman için özellikle de dinî ilimleri tahsil etmek isteyenler için gerekli olduğunu ortaya koyacak ve birkaç dinî ilimden bunu pekiştiren örnekler getirecektir.

Anahtar Kelimeler: Lügat, Arapça, Kur'an, Dinî ilimler.

✵✵✵

Learn Arabic and Rhetoric's Way to the Collection of Forensic Science

Abstract

Some Muslims are supposed to learn the Arabic language is unnecessary. Unlike learning Arabic is from the basic elements of Islam. Because the Arabic language is the language used in Quran, sunnah and prayer. Also Arabic, it is an important means in education of religious sciences.

The person who wants to learn religious science need to deepen Lughat,Sarf, Nahw and Balaghat sciences. Because Arabic has a significant impact on religious sciences as well as on Usul, Tafseer, Fiqh, Tajveed, alqira'at, Waqf, Ibtida' and other sciences. A person only, when fully learn express ways of Arabs, the

* Yrd. Doç. Dr., İzmir Kâtip Çelebi Üniversitesi İslami İlimler Fakültesi Arap Dili ve Belağatı Anabilim Dalı, sulimanomirat@gmail.com

Dinbilimleri Akademik Araştırma Dergisi
Cilt 16, Sayı 1, 2016
ss. 243-266

Qur'an language along Balaghat may be able to paraphrase a verse, to set out a provision and to interpret a complicated hadith.

Therefore, this article will be demonstrate that it is necessary for Muslims to learn Arabic, especially for those who want to study religious sciences, and will bring a few examples that reinforce from the religious sciences.

Keywords: Lughat, Arabic, Qur'an, Religious Sciences.

تعلُّمُ اللُّغةِ العربيَّةِ وبلاغتِها وسيلةٌ لتحصيلِ علومِ الشَّريعة

المُلخَّص:

يظنُّ بعضُ عوامِّ المسلمين أنّ تعلُّمَ العربيّة ضَرْبٌ من التَّرَف الثّقافيّ، والحقُّ أنَّ العربيّة جزءٌ أساسيٌّ من دينِهم؛ فهي لغةُ القرآنِ والسُّنّةِ والصَّلاةِ، والعربيّةُ سبيلُ تحصيل علوم الشّريعة.

أمَّا طالبُ العلوم الشَّرعيّة فهو في حاجةٍ إلى التَّبَحُّرِ في علوم العربيّة من لغةٍ وصرفٍ ونحوٍ وبلاغةٍ؛ لأنَّ للعربيّة أثراً واضحاً في علوم الشَّرع؛ كالأُصول، والتَّفسير، والفقهِ، والتَّجويد، والقراءات، والوقفِ والابتداء، وغيرها؛ إذْ لا يستطيعُ امرؤٌ تفسيرَ آيةٍ، أو استنباطَ حُكْمٍ، أو تأويلَ حديثٍ مُشكِلٍ؛ إلّا إذا تعلَّمَ لسانَ القرآن وبلاغتَه، وأصبحَ خبيراً بطرائقِ العربِ في تصريفِ كلامِها.

لذا فالمقالُ يُبيِّنُ أنّ تعلُّمَ العربيّة واجبٌ على المسلم، وخاصّةً على مَن أرادَ تحصيل علومِ الشَّرع، وسيسوقُ المقالُ الشَّواهدَ التي تؤكّد ذلك من مختلف العلوم الشَّرعيّة.

الكلمات المفتاحيّة: اللُّغة، العربيّة، القرآن، علوم الشّريعة.

❋❋❋

تمهيد:

اللُّغةُ وسيلةٌ للتَّواصُلِ الفكريّ والثّقافيّ والاجتماعيّ بينَ البَشَر، وكلُّ لُغةٍ وِعاءٌ لإرْثِ أهلِها الفِكريّ والحضاريّ والمعرفيّ، ولا ريبَ في أنَّ اللُّغاتِ تتمايَزُ فيما بينَها من حيثُ الأصواتُ والمعاني والتَّراكيبُ النَّحويّةُ والأساليبُ البلاغيّةُ.

لكنَّ العربيّةَ – مع ثرائِها الصَّوتيّ والاشتقاقيّ والدّلاليّ والأدبيّ والبلاغيّ الذي لا نرى له نظيراً في اللُّغات الأُخرى– تمتازُ بأنَّ الخالِقَ شرَّفَها واصطفاها من بينِ كُلِّ لُغاتِ الأرضِ لتكونَ لسانَ الوحيِ إلى العالمين، ولا ريبَ في أنَّ الله تعالى اختارَ العربيّةَ لساناً للوحي لحكمةٍ بالغةٍ. والمنصِفُ الذي يعلم العربيّةَ العِلْمَ الحَقَّ يعرفُ – لا محالةَ – أنَّ العربيّةَ أرقى اللُّغاتِ الإنسانيّةِ.

ولكنَّ المشكلةَ اليومَ أنَّ بعضَ (المسلمين) الأعاجم لا يعرفون من العربيّة شيئاً، بحُجّةِ أنَّهم أعاجمُ ولا يعيشون في البلدان العربيّة، مع أنَّ العربيّةَ هي لغةُ قرآنِهم، ولغةُ صلاتِهم، ولغةُ حديثِ رسولِهم، ولُغةُ كتبهِم الدّينيّة. وبعضُهم يَعُدُّ تعلُّمَ العربيّةِضَرْباً من التَّرَفِ العلميّ، غيرَ مُتَنَبِّهٍ إلى أنَّ تعلُّمَ العربيّةِهو جزءٌ صميميٌّ من دينِه.

وهذا الزُّهدُ بالعربيّة لا شَكَّ بأنَّ له أسباباًسياسيّةً وتاريخيّةً وجغرافيّةً وثقافيّةً مختلفةً، وهذه الأسبابُ قد تكونُ قاهرةً وفوقَ إرادةِ هذا المسلم– وهذا مفهوم – ولكنَّ المشكلةَ الحقيقيّةَ هي أنَّ بعضَ المسلمين الأعاجم تتوفَّرُ لهم اليومَ كلُّ الظُّروفِ المساعدةِ على تعلُّمِ العربيّة، وهم فيها من الزَّاهدين. فضلاً عن العربِ الذين أكرمَهم المولى بفهمِ العربيّة، لكنَّهم يتهاونون في تعلُّمِها وتعليمِها لأبنائهم وجيرانِهم من الدُّول الإسلاميّة غير العربيّة،لذا سيُشيرُ المقالُ إلى مكانةِ العربيّة وأهميّتِها وضرورتِها في طلبِ العلوم الشَّرعيّة.

وقد نوَّهَ سبحانَه باللُّغة العربيّة في أحدَ عشرَ موضعاً من القرآن الكريم؛ كقولِه: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف:٢]، وقوله: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [الزّخرف:٣]، وقوله: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) [الشُّعراء:١٩٥]؛ لأنَّ معرفةَ العربيّة هي السبيلُ لإدراك معاني الوحي ومقاصدِ الشَّريعة. وقد وردتْ عن الرَّسول الكريم أخبارٌ كثيرةٌ تُشيرُ إلى عنايتِه بفصاحةِ الألسُن، وكذا الخلفاءُ الرّاشدون من بعدِه، وكانُوا يَعُدُّون الخطأَ في اللُّغةِ– على نُدْرَتِه في زمانِهم – ضلالاً.

ولا ريبَ في أنَّ الجهلَ بالعربيّةِ هو حقّاً ضلالٌ ظاهرٌ، فمثلاً في قوله سبحانَه: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [فاطر:٢٨]لو قرأَها أحدُهم هكذا (إنَّما يخشى اللهُ من عبادِه العلماءَ) لأصبحَ المعنى أنّ الله سبحانَه يخافُ من العُلماء، (وأستغفر الله)، أنت ترى أنَّ الخطأَ في حركةٍ واحدةٍ كفيلٌ بإفسادِ المعنى وإضاعةِ المقصود.وكذا في قولِه تعالى: (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا) [التوبة:٤٠] لو قرأ مُصلٍّ في صلاتِه هكذا: (وجعلَ كلمةَ الّذين كفرُوا السُّفْلى وكلمةَ الله هي العُلْيا)جاعلاً الواو «وكلمةَ..» عاطفةً لا استئنافيّةً؛ لَأَخطأَ خطأً فاحشاً؛ ولربّما فسَدَت صلاتُه؛ لأنَّنا سنفهمُ أنَّ كلمةَ اللهكأنَّها كانت سُفلى فأضحت الآن عُليا، تعالى الله عن ذلك عُلُوّاً كبيراً؛ بل المقصودُ أنَّ كلمةَ الله هي العُليا دائماً.

فيُعلَمُ من ذلك أنَّ (إلمامَ المسلِمِ بالعربيَّةِ واجبٌ)؛ ولندلِّلَ على هذا نقولُ ببساطةٍ: إنَّ الله عزّ وجلّ أمرَ المسلمين مِراراً بتدبُّر القرآن الكريم والتفكُّر في معانيه وفهْم مقاصده ومراميه؛ كقولِه: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النّساء:٨٢]، وقوله: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [محمّد:٢٤]، ومعلومٌ أنَّه لا يتسنَّى للمسلمِ أنْ يؤدِّي واجبَه في تدبُّر القرآن الكريم وفهمِه إلّا بمعرفةِ العربيّة، إذاً فتعلُّمُه العربيّةَ وتفقُّهُه بها واجبٌ أيضاً؛ لأنَّ ما لا يتمُّ الواجبُ إلّا به فهو واجبٌ، ومَثَلُ هذا الوضوء؛ فهو بحُكم الفرض، مع أنَّه ليس فرضاً؛ لأنَّ الصَّلاةَ فرضٌ، ولكنَّ الصَّلاةَ لا تكونُ بدونِ وضوءٍ، إذاً فالوضوءُ قبلَ الصَّلاةِ فرضٌ. وقد كانَ الصَّحابةُ مؤمنين بأهميّة معرفة العربيّة والتَّفقُّهَ فيها، ولم تكُن عندَهم مشكلةٌ في ذلك؛ لأنَّهم كانُوا يتكلَّمون العربيّة الصَّحيحة الفصيحة بالفطرة، وكانُوا مشهورين بالبيان.

ولكنْ بعدَ الفتوحاتِ الإسلاميّة واتّساعِ رُقعةِ الدَّولةِ، دخلَ في الإسلامِ كثيرٌ من الأعاجمِ الذين بدؤوا يَقرؤون القرآنَ الكريمَ ويتكلَّمون العربيّةَ، ولكنَّهم كانُوا عُرضةً للوقُوعِ في اللَّحْنِ، وهذا له أثرٌ خطيرٌ إذ يُفسِدُ على العربِ لُغتَهم، وهم سليقيُّون يُعربون لُغتَهم بالفِطرةِ. وأثرُهُ الأخطرُ في اللَّحن عندَ قراءةِ القرآن الكريم، وهذا قد يُغيِّرُ المعانيَ أو يُفسِدُها، فدعَتِ الحاجةُ علماءَ ذاك الزّمانِ لتأصيلِ قواعدِ اللُّغةِ لمواجهةِ ظاهرةِ اللَّحْنِ خاصةً في ما يتعلقُبالقرآنِ والعلومِ الإسلاميّةِ.

فأقبلَ المسلمون من عُرْبٍ وعَجَمٍ على البحثِ اللُّغويّ؛ لصيانةِ هذه اللُّغة الشَّريفةِ، ولبيانِ تفسيرِ القرآن الكريم، ومساعدةِ الأعاجم الدّاخلين في الإسلام حديثاً على تعلُّم العربيّة، ليتمكَّنوا منها فَهْماً واستيعاباً ونُطقاً، حتّى لا يضطربوا في قراءة القرآن الكريم والحديث النَّبويّ الشّريف وفَهمِهما، ولإيمانِهم بأنَّ معرفةَ اللُّغةِ العربيّةِ هي السَّبيلُ إلى اكتسابِ علومِ الشَّريعة.

ولم يتَّفِقِ المؤرِّخون على الحادثةِ التي كانت سبباً مباشراً في وضعِ علم النَّحو، ولكنَّ القصّةَ الأشهرَ تتعلَّقُ بآيةٍ من سورة (براءة)، ذكرَها السُّيوطيُّ (ت٩١١هـ-١٥٠٥م) في كتابه «سبب وضع علم العربيّة» نقلاً عن أبي بكر الأنباريّ (ت٣٢٨هـ-٩٤٠م)، ويُفيدُ الخبرُ أنَّ أعرابيّاً قَدِمَ في زمانِ عُمرَ بنِ الخطَّاب (ت٢٣هـ-٦٤٤م)، فقالَ: مَن يُقْرِئُني ممّا أُنزِلَ على مُحَمَّد صلّى الله عليه وسلَّم؟ فأَقرأه رجلٌ سورةَ براءة، حتّى قال: (أَنّ اللهَ بَرِيءٌ من الْمُشْرِكين وَرَسُولِه) بالجرِّ، فقالَ الأعرابيُّ: أَوَ قد برئَ اللهُ مِن رسولِه، فأنا أبرأُ منه. فبلغَ عُمرَ مقالةُ الأعرابيّ، فدعاه، فقال: يا أعرابيُّ! أتبرَّأُ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟! فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنّي قَدِمْتُ المدينةَ ولا عِلْمَ لي بالقرآنِ، فسألتُ: مَن يُقرِئُني؟ فأقرأَني هذا سورةَ براءة، فقال: (أَنّ الله بَرِيءٌ من الْمُشْرِكين وَرَسُولِه)، فقلتُ: إن يكُنِ اللهُ برئَ من رسولِه فأنا أبرأُ منه. فقالَ عمرُ: ليس هكذا يا أعرابيُّ. قال: فكيف هي يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)[التّوبة:٣]،فقالُ الأعرابيُّ: وأنا ـ واللهِ ـ أبرأُ ممّا برئَ اللهُ ورسولُه منه، فأَمَرَ عمرُ بنُ الخطّاب ألّا يُقرئَ النّاسَ إلّا عالِمٌ باللُّغة[1].واستشعرَ الخطرَ على العربيّة وعلى كتابِ الله تعالى، فأَمَرَ أبا الأسودِ الدُّؤليَّ (ت٦٩هـ-٦٨٨م) بوضعِ مبادئ النَّحو.وهذا الخبرُ وحدَهُ كافٍ ليدلَّ على أنَّ عنايةَ أسلافِنا بعلوم العربيّة إنَّما كانتحِرصاً على القرآن الكريم، وصيانةًلعلومِ الشَّريعة.

وبعدَ ذلك رأينا كثيراً من عُلماء العربيّة من المسلمين الأعاجم؛ لأنَّه إذا كانت اللُّغةُ التُّركيّة للأتراك، والفارسيّة للفُرس، والإندونيسيّة للإندونيسيّين؛ فإنَّ العربيّةَ ليست للعربِ وحدَهم، بل للمسلمين في كُلِّ

[1] انظر: سبب وضْع عِلم العربيّة، السُّيوطيّ (ت٩١١هـ-١٥٠٥م)، تحقيق: مروان العطيّة، دار الهجرة بدمشق، ط١، ١٩٨٨م. ص٣٠.

مكان؛لذا رأينا المسلمين من الأعاجم عبرَ التَّاريخ يجتهدون في تعلُّم العربيّة وتعليمِها؛ لإيمانِهم بأنَّ ذلك واجبٌ شرعيّ.

وطُوبى لـمَن كانَ أعجميّاً واجتهدَ وبذلَ من وقتِه ومالِه وعيونِه في تعلُّم العربيّة، حتّى غدا بها ضليعاً، يُعلِّمُها للمسلمين الآخَرين في سبيل الله، ويُعينُهم على فهمِ مقاصدِ القرآن الكريم، وهذا حالُ كثيرٍ من سلفِنا الصَّالح رضوان الله عليهم.

فسيبويهِ (ت١٨٠هـ-٧٩٦م) إمامُ نُحاةِ العربيّةِ إنَّما هو فارسيُّ الأصلِ، سكنَت عائلتُه البَصْرَةَ، والتحقَ بمجلسٍ يتعلَّمُ فيه الحديثَ النَّبويَّ الشَّريف، حتَّى لَحَنَ، فعاتبَه شيخُه، فقال سيبويهِ: «لا جَرَمَ! لَأطلُبَنَّ عِلماً لا تُلَحِّنُني فيه أبداً»[٢]، فطَلَبَ النَّحْوَ، ولم يَزَلْ يُلازِمُ الخليلَ بنَ أحمد الفراهيديّ (ت١٧٠هـ-٧٨٦م) وينهل من علومِه، حتَّى نبغَ في النَّحو والصَّرف، وألَّفَ كتابَه الذي ما زالَ النَّاسُ عالَةً عليه حتّى يومِنا.

وهذا الخبرُ دليلٌ على حِرصِهم على استقامةِ اللِّسان وفصاحتِه ورفضِهم الخطأَ في القرآن الكريم والحديث النَّبويّ الشَّريف، (ولو كان المخطئُ أعجميّاً)؛ فهو غيرُ معذورٍ بعُجمتِه، بل مُلزَمٌ بتعلُّم العربيّة وتقويمِ لِسانِه قبلَ دراسةِ العلومِ الشَّرعيّة.

على أنَّ سيبويهِ لم يكن في هذا وحيداً، بل كانَ واحداً من العُلماء الأعاجم الذين نذروا حياتَهم لخدمة هذه اللُّغة الشَّريفة، من أمثال: النَّحويّ أبي عليّ الفارسيّ (ت٣٧٧هـ-٩٨٧م) صاحب كتاب «الحُجّة للقُرَّاء السَّبعة»، وتلميذِه النِّحرير ابن جنّيّ (ت٣٩٢هـ-١٠٠٢م) صاحب كتاب «الخصائص»، و«اللُّمَع في العربيّة»، واللُّغويّ ابن فارس (ت٣٩٥هـ-١٠٠٤م) صاحبِ معجَم «مقاييس اللُّغة»، و«الصّاحبيّ في فقه اللُّغة»، واللُّغويّ الشّاعر أبي هلال العسكريّ (ت بعد٣٩٥هـ-١٠٠٥م) صاحب «كتاب الصِّناعتين»في البلاغة، و«معجم الفروق اللُّغويّة»، وعبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ-١٠٧٨م) مؤسِّس علم المعاني، وصاحب أشهر كتابين في علم البلاغة «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز»، والزَّمخشريّ (ت٥٣٨هـ-١١٤٣م) الذي اشتُهِرَ بتفسيرِه «الكشّاف» الذي يُعدُّ تاجَ التَّفاسير القرآنيّة، فضلاً عن معجمِه «أساس البلاغة»، وكذا السَّكّاكيّ (ت٦٢٦هـ-١٢٢٩م) صاحب «مفتاح العلوم»، وسعد الدِّين التّفتازانيّ (ت٧٩٢هـ-١٣٩٠م) صاحب «المطوّل» و«المختصَر» في علوم المعاني والبيان والبديع، وغيرهم كثير.

---

[٢] انظر: إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، القِفْطيّ (ت٦٤٦هـ-١٢٤٨م)، المكتبة العصريّة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ. ٣٥٠/٢.

ولا شكَّ في أنَّ هؤلاءِ العلماءَ الأعاجمَ إنَّما درَسوا العربيّة وعلومَها وأرسَوا أُصولَها ليسَ بسببٍ قوميٍّ؛ فهُمْ ليسوا عَرَباً، وإنَّما لسببٍ دينيٍّ صافٍ؛ لحرصِهم على تعلُّم القرآنِ الكريمِ وتعليمه، ولانبهارِهم ببلاغة القرآن الكريم وفصاحته وبيانِه، وكذا لإعجابهم بحديث الرَّسول الكريم الذي أُوتي جوامع الكَلِم؛ ولإيمانِهم الرَّاسخِ بأنَّ معرفةَ العربيّة من الدِّين.

وقد كان هؤلاءِ العلماءُ- وهم يحرِّرون قواعدَ العربيّة - يدركون في كلِّ لحظةٍ أنّ هذه القاعدةَ ستنتقل إلى القرآن، فإذا لم تكنْ مُحرَّرةً أدّتْ إلى الفسادِ في التَّفسير، فكانُوا يبذلون قُصارى جهدهم في استقراء النُّصوص العربيّة، ويرتحلون إلى الصَّحارى ليقابلُوا الأعرابَ الخُلَّص ويسمعوا من شِفاهِهم اللُّغةَ العربيّة الصَّافية قبل تأصيل القواعد، وهم يَعدّون كلَّ هذا جهاداً ورحلةً في سبيلِ العلمِ الشَّرعيّ.

ونحن لن نُسهِبَ في سردِ الأخبارِ الدّالّةِ على أنَّ عنايةَ المسلمين الأوائل بالبحث اللّغوي العربيّ كانَت لسببٍ دينيّ خالص، بل سنحاوِلُ بيانَ أهميّة معرفةِ العربية في فهم الدّين، وأنَّها شرطٌ لازمٌ وغيرُ كافٍ لاكتساب علوم الشَّريعة، على النَّحو الآتي: (القراءات، والتّجويد، والوقف والابتداء، والتّفسير، والحديث، والفقه وأصوله)، ولا مراءَ في أنَّ مكانةَ العربيّةِ وأثرَها في كلٍّ من هذه العلوم يستغرقُ كتاباً مطوّلاً، ولكنَّنا سنكتفي بأمثلة دالّةٍ على أثر العربيّة في كلٍّ من العلوم الشَّرعيّة المذكورة.

الموضوع:

أوّلاً: مكانة العربيّة في علم القراءات.

القراءاتُ هي الاختلاف في وجوهِ الأداءِ الصَّوتيّ للقرآن الكريم مِن مَدٍّ وإمالةٍ ونحوِ ذلك، وقد اجتهدَ العلماءُ في بيانِ مراتبِ القراءات، فقسَّموا القراءاتِ إلى متواتر، ومشهور، وآحاد، وشاذّ،...إلخ، وكانَ لاختلافِ هذه القراءاتِ أثرُه في الفِقه.

وإذا أردنا أن نعرفَ مكانةَ العربيّة في علم القراءات؛ فيكفي أن نعرفَ أنَّهم اشترطُوا للقراءة الصَّحيحة شروطاً؛ منها: أنْ تكونَ هذه القراءةُ موافقةً قواعدَ اللُّغة العربيّة . ولو بوجهٍ واحدٍ من وجوهها . فكانَ شرطُ العربيّة مُعتبَراً في معرفةِ القراءة الصَّحيحة.

ودارت حركةٌ تأليفيّةٌ حول التَّوجيه النَّحويّ للقراءات القرآنيّة، ومن ذلك كتابُ «إعراب القراءات السَّبع وعللها» لابن خالَويه (ت٣٧٠هـ-٩٨٠م)، و«معاني القراءات» لأبي منصور الأزهريّ (ت٣٧٠هـ-٩٨٠م)، و«المُحتسَب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها» لابن جنّيّ (ت٣٩٢هـ-١٠٠٢م)، وتفسير «البحر المحيط» لأبي حيّان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ-١٣٤٤م)، وغيرُها من الكتب التي أثرَت المكتبةَ اللُّغويّة العربيّة، وهذا يُبيِّنُ أثرَ علم القراءات في تحفيز الدِّراسات في اللُّغة العربيّة.

وسوف نعرضُ هنا مثالاً واحداً على أثر القراءات في الاجتهاد اللغويّ، وهو أنَّ قولَه تعالى: (قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) [طه:٢٠] هكذا بالنُّون المخفَّفة في قراءة حَفْص (ت١٨٠هـ-٧٩٦م) المشهورة، وهذه إعرابُها واضحٌ (هذان: مبتدأ)، و(لساحران: خبر، واللّام فيه فارقة؛ كراهةَ التباسِ "إنْ" بالنَّافية).

ولكن هناك قراءةٌ بتشديد النّون في «إنَّ»: (قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)، قرأ بها أكثرُ من قارئ، ولكنَّها مُشكلةٌ إعرابيّاً؛ فمعلومٌ أنَّ «إنَّ» حرفٌ مشبَّه بالفعل، تنصب الأوَّل وترفع الخبر، فكان مقتضى الظَّاهرِ أن يكون الكلامُ هكذا: (إنَّ هذين لَساحران)، لكنْ جاءت هذه القراءة برفع الاسم والخبر، فكانت مجالاً خِصباً لدراسات اللُّغويّين واجتهاداتهم التي أغنت الدَّرس النّحويّ، وسنوجز أشهرَ آرائهم؛ بثلاثة أقوال، هي:

- القول الأوَّل: يقولُ أهلُ هذا الرَّأي:«إنَّ» ليست حرفاً مُشبَّهاً بالفعل هنا، بل هي حرف جوابٍ بمعنى (نعم)، ولذا رُفِع المثنَّى بعدَها على الابتداء، والمعنى: (نعم، هذا لَساحران). وقد حشدَ أهل هذا القولِ الأدلَّة اللُّغوية من عصر الاحتجاج التي تُؤيِّدُ مجيء "إنَّ" حرفَ جوابٍ، كقولِ عبيد الله بن قيس الرُّقَيَّات:[مجزوء الكامل]

بَكَرَ العواذلُ في الصَّبا ... حِ يَلُمْنَني وأَلُوْمُهُنَّه
ويَقُلْنَ: شيبٌ قد علا ... ك، وقد كَبِرْتَ، فقلتُ: إنَّهْ[٣]

والهاء للسَّكْت.

ومن أهل هذا الرَّأي سيبويهِ (ت١٨٠هـ-٧٩٦م) [٤]، وذكرَه النَّحّاسُ (ت٣٣٨هـ-٩٥٠م) [٥]، والزَّمخشريّ (ت٥٣٨هـ-١١٤٣م) [٦]، وغيرُهم.

- القول الثَّاني: هذه القراءةُ جاءت على لُغةِ مَن يُلزِمُ المثنَّى الألفَ؛ رفعاً ونصباً وجرّاً، ومثلُه الشَّاهدُ النَّحويّ المشتهَر: [من الرَّجز المشطور]

إنَّ أباها وأبا أباها ... قد بلغَا في المجدِ غايتاها[٧]

---

٣ انظر: الكتاب ١٥١/٣.

٤ انظر: الكتاب، سيبويه (ت١٨٠هـ-٧٩٦م)، تحقيق: عبد السَّلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٩٨٨م. ١٥١/٣.

٥ انظر: إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحّاس (ت٣٣٨هـ-٩٥٠م)، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ. ٣١/٣.

٦ انظر: الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل، الزَّمخشريّ (ت٥٣٨هـ-١١٤٣م)، دار الكتاب العربيّ – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.٧٢/٣.

ذكَرَه الفرّاءُ (ت٢٠٧هـ-٨٢٢م) [٨]، وأبو عُبيدَة (ت٢٠٩هـ-٨٢٤م) [٩]، وابن قُتيبة (ت٢٧٦هـ-٨٨٩م) [١٠].

- القول الثّالث: «إنَّ» هنا حرفٌ مشبّهٌ بالفعل، لكنَّ اسمَها ليس المثنّى الذي بعدَها، وإنّما اسمُها ضميرُ الشّأن المحذوف، و(هذان) مبتدأ، و(لَساحران) خبر، والجملة الاسميّة المؤلّفة من المبتدأ والخبر (هذان لساحران) في محلّ رفع خبر لـ«إنَّ» التي اسمها ضمير الشّأن المحذوف.

وذكرَ المسألةَ باستفاضةٍ الرّازيّ (ت٦٠٦هـ-١٢١٠م) [١١]، والسَّمين الحلبيّ (ت٧٥٦هـ-١٣٥٥م) [١٢]، وابن عاشور (ت١٣٩٣هـ-١٩٧٣م) [١٣]، وغيرهم.

ومِن المثالِ في هذه القراءة يُعلَمُ الأثرُ التّحفيزيّ للقراءات في عِلم العربيّة، فضلاً عن الدّراسات الصّوتيّة حول القراءات في القديم والحديث، وأظنُّ أنَّ الدّراسات حول التّوجيه البلاغيّ للقراءات القرآنيّة ما زالَت حقلاً بِكْراً يحتاجُ جهودَ الدّارسين. ويُعلَمُ أيضاً ضرورةُ إلمام طالبِ العلمِ الشّرعيّ بعلم العربيّة حتّى يستطيع الرّدّ على الطّاعنين في صِحّة القرآن الكريم وسلامة عبارته.

ثانياً: مكانة العربيّة في علم التّجويد.

---

٧ انظر: مُغني اللَّبيب عن كُتُب الأعاريب، ابن هِشام الأنصاريّ (ت٧٦١هـ-١٣٦٠م)، تحقيق: مازن المبارك، ومحمّد عليّ حمد الله، دار الفكر _ دمشق، ط٦، ١٩٨٥م. ١/١٦٦.

٨ انظر: معاني القرآن، الفَرّاء (ت٢٠٧هـ-٨٢٢م)، تحقيق: النّجاتي والنّجار والشّلبيّ، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة – مصر، ط١. ٢/١٨٤

٩ انظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى (ت٢٠٩هـ-٨٢٤م)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي– القاهرة، ١٣٨١هـ. ٢/٢١.

١٠ انظر: تأويل مُشكِل القرآن، ابن قُتَيْبة الدِّيْنَوَريّ (ت٢٧٦هـ-٨٨٩م)، تحقيق: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت . لبنان، ٢٠٠٧م. ص٣٦.

١١ انظر: مفاتيح الغيب = التّفسير الكبير، الفخر الرّازيّ (ت٦٠٦هـ-١٢١٠م)، دار إحياء التّراث العربيّ . بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ. ٢٢/٦٦.

١٢ انظر: الدُّرّ المَصون في علوم الكتاب المكنون، السَّمين الحلبيّ (ت٧٥٦هـ-١٣٥٥م)، د. أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دمشق. ٨/٦٤.

١٣ انظر: التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)، الدّار التّونسيّة للنّشر – تونس، ١٩٨٤م. ١٦/٢٥٢.

علمُ التَّجويدِ تُعرَفُ به كيفيّةُ النُّطقِ والأداء الصَّوتيّ للقرآن الكريم كما نطقَه الرَّسول الكريم، ويُؤخَذُ عن الشُّيوخ بالمشافَهة. والتَّجويدُ إعطاءُ الحرفِ حَقَّه ومُستحَقَّه، أمَّا حقُّ الحرفِ فإعطاؤه ما له من صفةٍ لازمةٍ؛ من جَهرٍ أو همْسٍ، وشِدَّةٍ أو رَخاء أو عارضةٍ بينَهما، ونحو ذلك. وأمَّا مُستحَقُّه فإعطاؤه ما ينشأ من الصِّفات اللّازمة له من صفاتٍ متفرِّعةٍ عنها، كترقيق المُسْتَفِلِ وتفخيم المستعلي، وهذا التَّجويدُ ضروريٌّ في قراءة القرآن (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) [المزمّل:٤]، وفي هذا يقولُ الزَّمخشريُّ (ت٥٣٨هـ-١١٤٣م): «ترتيلُ القرآن: قراءتُه على ترسُّلٍ وتُؤَدَةٍ؛ بتبيينِ الحروفِ وإشباعِ الحركاتِ»[١٤]، وذكرَ ابنُ الجَزَريّ (ت٨٣٣هـ-١٤٢٩م) أنَّ عليّاً رضي الله عنه سُئل عن ترتيل القرآن، فأجاب: «التَّرتيلُ تجويدُ الحروف ومعرفة الوقف»[١٥].

والسُّؤال هنا: هل يتمكَّنُ قارئُ القرآنِ الكريم من مراعاةِ صفات الحروف ومخارجها حتَّى تخرجَ من الفمِ واضحةً، ومراعاةِ الوقف والابتداء وإشباعِ ما يستحق الإشباع ...إلخ إذا لم يكن له عِلمٌ بالعربيّة ومخارج الحروف وصفاتها؟

وقد يظنُّ البعضُ ممّن يُعلِّمُ الطُّلابَ في المدارس الشَّرعيّة أنَّ الوقوفَ على مخارج الحروف وصفاتها والإلمامَ بها وإتقانَها من جملة النَّوافل، مع أنَّ شيخ القُرّاء ابن الجزريّ (ت٨٣٣هـ-١٤٢٩م) يَعدُّه واجباً، إذ يقول في مقدّمته:

وبعدُ إنّ هذه مُقدِّمَهْ | فيما على قارئهِ أنْ يَعْلَمَهْ
إذْ واجبٌ عليهمُ مُحَتَّمُ | قبلَ الشُّروعِ أوّلاً أنْ يَعْلَموا
مَخارجَ الحُروفِ والصِّفاتِ | لِيَلْفِظوا بأفصحِ اللُّغاتِ[١٦]

ولا شكَّ في أنَّ مصدرَ معرفةِ مخارج الحروف وصفاتها إنَّما هو الكتب اللُّغويّة والنَّحويّة والصَّرفيّة العربيّة، ولذا فإنَّك تجدُ كُتُبَ علم التَّجويد عندَ ذِكْرِ مخارج الحروف تذكُرُ الاختلافَ بين عُلماء العربيّة: رأي الخليل، ورأي سيبويه، ورأي الفرّاء.

وطالبُ العلم الشَّرعيّ الأعجميّ في مسيس الحاجة إلى معرفة صفات الحروف جيّداً؛ لأنَّ اللُّغاتِ الأعجميّةَ عموماً تختلف مدارجُها الصَّوتيّة عن المدرج الصَّوتيّ العربيّ؛ لأنَّ عدمَ تمكُّنِه من تلفُّظ الحروف

١٤ انظر: الكشّاف ٤/٦٣٧.

١٥ انظر: النَّشْر في القراءات العشر، ابن الجزريّ (ت٨٣٣هـ-١٤٢٩م)، تحقيق: عليّ محمّد الضّبّاغ، المطبعة التّجاريّة الكبرى، والنّسخة مصوَّرة في دار الكتب العلميّة، بيروت، بلا طبعة ولا تاريخ. ٢٠٩/١.

١٦ انظر: منظومة المقدّمة الجزريّة، ابن الجزريّ (ت٨٣٣هـ-١٤٢٩م)، دار المغني للنّشر والتّوزيع، ط١، ٢٠٠١م. ص١.

صحيحةً من مخارجِها قد يُوقعُه في أخطاءٍتنحرفُ بمعنى الآية، وتميلُ بها عن الصَّواب، ولا سيَّما في إبدال الحروف المتقاربة بعضِها مكانَ بعض؛ كالسّين والصّاد، والذّال والزّاي، والضّاد والدّال...إلخ، وسنعرض أمثلةً تدلّل على ذلك من القرآن الكريم ممّا يلقاه أساتذة المدارس الشّرعيّة في أثناء تعليمهم للطّلاب الأعاجم:

- (وَكَانُوا يُصِرُّونَ) [الواقعة:٤٦] بعضهم يقول: (يُسِرُّون) ومعلوم أنّ (يُصِرّون) من الإصرار، و(يُسِرّون) من الإسرار وإخفاء الشّعور في النّفس، كما في قولِه تعالى: (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى) [طه:٦٢].

- (ولا الضّالّين) [الفاتحة:٧]، بعضهم يقول: (ولا الدّالين) أي: جمع دالّ، وهو الذي يَدُلُّك على الطّريق، وبعضهم (ولا الظّالّين) جمع ظالّ، وهو الباقي، أو المستظِلّ بظِلٍّ.

- (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي) [الكهف:١٠٩]، البعض يُخطئُ ويقول: (لنفذ . تنفذ)، علماً أنّ (نفد: انتهى)، و(نفذ: اخترق).

وقد يكونُ الخطأ في التَّجويد ليس في الأحرف وعدم معرفة مخارجها الصَّحيحة، وليس في حركات أواخر الكَلِم بسبب الضَّعف في النَّحو، بل قد يكون الخطأ في حركات بِنية الكلمة بسبب قلّة المحادثة مع الأعراب الفُصَحاء، ولعدم التمكُّن من قوانين عِلم الصَّرف، وعدم المعرفة الواسعة بالمعجم العربيّ، ولا سيّما الخطأ في ضبط عين المضارع؛ لأنَّ هذا الأمرَ سماعيٌّ لا يتأتّى إلَّا بممارسة اللُّغة قراءةً ومحادثةً، ومن أمثلة ذلك: (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) [البقرة:٢٠] فالبعضُ يُخطئ في عين المضارع فيقرأ هكذا: (يخطُف) بضمّ الطّاء والأصلُ فتحُها.

ومثلُه في قولِه تعالى: (فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) [البقرة:٢٤] فرُبّما يُخطئُ البعضُ في (وَقودها) ويقرؤها بضمّ الواو؛ هكذا (وُقودها) غير متنبّهٍ إلى أنَّ الوَقود بالفتح: الحَطَبُ أو النِّفط أو غير ذلك من الموادّ التي بوساطتها تشتعلُ النَّار. والوُقود: بِالضَّمِّ: الاتّقادُ، وَهُوَ الفعلُ. ومثلُه: الوَضوء: الماء، والوُضوء: الفعل. ومثلُه الرَّكوب: أي المركوب، والرُّكوب الفعل؛ ومنه قوله تعالى: (وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) [يس:٧٢].

وأيضاً في قولِه تعالى: (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة:٤٢] قد يقرأُ البعضُ هكذا: (لا تلبَسوا الحقّ بالباطلِ...) دون أن ينتبه إلى الفرق في المعنى بين الفعلين: فالفعل (لَبِسَ – يلبَسُ – لُبْساً: ارتدى الثَّوب)، والفعل: (لَبَسَ – يلبِسُ – لَبْساً: خلطَ الأمرَ)، فمقصود الآية: لا تخلِطوا الحقَّ بالباطل وتُلبِّسوا عليهم أمورَ دينهم وتخادعوهم وأنتم تعلمون. ومَن أخطأَ في حركة عين المضارعِ فقد أضاعَ المعنى من غير أن يدري، ومثلُ هذه الأمورِ لا يعرفُها المرءُ إلّا بالرُّجوع إلى المعاجم، أو مُحادثة فُصَحاء العرب.

وهذا يدلُّ أنَّ على المسلم إتقانَ العربيّة بما يكفي لتأدية القرآن الكريم أداءً صحيحاً سليماً لا يكونُ فيه تحريفٌ لكلام الله تبارك وتعالى؛ لأنَّ اللَّحْنَ الجليّ في القرآن لا يجوز، وقد أنزلَه الله (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) [الزّمر:٢٨] فلا ينبغي للمؤمن أن يقرأ بالعِوَج، وقد قال شيخُ القُرّاء ابن الجزريّ (ت٨٣٣هـ-١٤٢٩م): «ولا شكَّ أنَّ الأُمّةَ كما هم مُتعبّدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده هم متعبّدون بتصحيح ألفاظِه وإقامةِ حروفِه على الصِّفةِ المتلقَّاةِ من أئمّة القراءة المتّصلةِ بالحضرة النّبويّةالأفصحيّة التي لا يجوزُ مُخالفتُها ولا العدول عنها إلى غيرِها»[١٧].

ثالثاً: مكانة العربيّة في علم الوقف والابتداء.

الوقْفُ: قَطْعُ النَّفَسِ زمناً يُتنفَّسُ فيه عادةً بنيّةِ استئنافِ القراءةِ، إمَّا بما يلي الحرفَ الموقوفَ عليه، أو بما قبلَه، ويأتي في رؤوس الآي وأوساطِها، ولا يأتي في وسط الكلمة، ولا فيما اتَّصَلَ رسْماً[١٨].

ومعرفةُ الوقفِ والابتداء من علومِ القرآنِ الكريم، ولا ينبغي أنْ يَغفُلَ المسلمُ عن لطائفِ هذا العلم، وأثرِه في المعاني، فهو يُعلِّمُنا أحكامَ الوقوفِ في القرآن الكريم؛ لأنَّ وقوفَ القرآن ليست اعتباطيّةً يقفُ القارئ حيثُ شاء من غير التفاتٍ إلى ما قد يؤدِّيه هذا الوقفُ من تحريفِ المعنى، أو إفسادِه، وقد يُفضي إلى الكُفرِ إن كان مقصوداً.

لذا ينبغي للوقف أن يتَّفقَ مع وجوه التَّفسير الصَّحيح، واستقامةِ المعنى، وسلامة اللُّغة ممّا يقتضيه علمُ النَّحو والبلاغة خاصَّةً؛ لتتحقَّقَ الغايةُ من قراءة القرآن الكريم، وهي الفَهْمُ والإدراكُ والتَّدبُّرُ الذي أمرَنا تعالى به.لذا اجتهدَ عُلماءُ اللُّغةِ والنَّحو في بيانِ أحكامِ الوقف والابتداء اعتماداً على علوم اللُّغة العربيّة والتَّفسير، وصنَّفوا الكتب، مثل: «الإيضاح في الوقف والابتداء» لأبي بكر النَّحويّ بن الأنباريّ (ت٣٢٨هـ-٩٤٠م)، و«القَطْع والائتناف»، للنَّحويّ أبي جعفر النَّحّاس (ت٣٣٨هـ-٩٥٠م)، و«المُكتفى في الوقف والابتدا»، لأبي عَمرو الدّاني الأندلُسيّ (ت٤٤٤هـ-١٠٥٣م).

كما اجتهد أصحاب التَّفاسير اللُّغوية؛ كأبي حَيّانَ الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ-١٣٤٤م)، والسَّمين الحلبيّ (ت٧٥٦هـ-١٣٥٥م)، والشِّهاب الخَفاجيّ (ت١٠٦٩هـ-١٦٥٩م) فأبرزوا صِلةَ الوقفِ بالإعراب في ضوء النَّظَر إلى المعنى، والحقُّ أنَّه عِلْمٌ لا يُحيطُ به إلّا مُقتدِرٌ في العربيّة، ولذا قال الإمامُ ابنُ

[١٧] انظر: النَّشر ٢١٠/١.

[١٨] انظر: البُرهان في علوم القرآن، الزَّرْكَشيّ (ت٧٩٤هـ-١٣٩٢م)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، مصر . القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.٣٤٢/١، والنَّشْر ٢٤٠/١.

مُجاهِد (ت٣٢٤هـ-٩٣٦م) صاحبُ السَّبعة في القراءات: «لا يقومُ بالتَّمامِ في الوَقْف إلّا نَحْوِيٌّ، عالِمٌ بالقِراءاتِ، ...وعالِمٌ باللُّغةِ التي نزلَ بها القُرآنُ»[١٩].

وما نريدُ قولَه باختصار: إنَّ علمَ الوقفِ والابتداء ضروريّ للمسلم، وعلمُ الوقفِ والابتداء لا يمتلكه إلّا المتقِنُ للعربيّة بعلومِها المتنوّعة، وهذا يعني أنَّ تعلُّم العربيّة ضروريّ للمسلم.

ولبيان أهميّة علم الوقف والابتداء سنتوقَّفُ عندَ أمثلةٍ من الوقفِ القبيح النّاتج عن الجهل بعلوم العربيّة، فمثلاً في قولِه تعالى: (يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) [يوسف: ١٧] أليسَ من الطَّرافة والغَفلة أن يقفَ القارئُ على الهاءِ من (أكلَه)!، ولذا ينبغي للقارئ أن يعلمَ أنَّ وقوفَهُ يعني الإيذانَ بانتهاء الجملة واستيفاء معناها.

وقد أوردَ ابنُ الجَزرِيّ (ت٨٣٣هـ-١٤٢٩م) واحدةً من طرائفِ الوقفِ القبيح؛ بقولِه: «بلغَني عن شيخ شيوخِنا الأستاذ بدرِ الدّين...أنَّ شخصاً كانَ يَجمعُ عليه، فقرأ: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي) [المسد: ١]، وأَخذَ يُعِيدُها حتَّى يَستوفِيَ مَراتِبَ المَدِّ، فقال لهُ: يَستأهِلُ الذي أَبْرَزَ مِثْلَكَ»[٢٠].

وفي قولِه: (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) [النّساء:٤٣] من الوقفِ القبيحِ أن يقفَ القارئُ على كلمة «الصَّلاةَ» هكذا: (لا تقربوا الصّلاة)؛ لأنَّ المعنى سيفسُد؛ فهذا الوَقْفَ يُوهِمُ أنّ النَّهيَ عن الصَّلاةِ بالكُليّة، ويُغفِلُ أنَّ هذا النَّهيَ مُقيَّدٌ، فالنَّهي مُتوجِّهٌ إلى الصّلاةِ مع كونِ المُصلِّي في حالةِ سُكْرٍ. ومثلُه الوقوف على كلمة «يستحيي» من قولِه: (إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي...) [البقرة: ٢٦]، ومثله الوقوف على كلمة «المصلِّين» في قولِه: (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ) [الماعون:٤]، ومِثلُه أنْ تقفَ على «اليَهود» من قوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ) [المائدة: ٦٤] فتقول: (قالت اليهود) وتقف، ثُمَّ تستأنفُ هكذا: (يدُ الله مغلولة) فهذا لا يجوز، لأنَّه قطعٌ بين القولِ ومقولِه، ممّا يوهم السَّامعَ غير العارفِ بالقرآنِ أنَّ (يدُ الله مغلولة) كلامٌ مستأنفٌ وحقيقة مُقرَّرة. أو تقف على (قالُوا)، في قولِه تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ)[المائدة: ٧٣]؛ لأنَّك ستبدأ بالقولِ: (إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ)، وكأنَّك تخبرُ عن هذا الأمرِ وتؤكِّدُه للسَّامعين أيضاً، مع أنَّه مقولُ الكافرين.

فكلُّ هذا ونحوُه من الوقوفِ جَلِيُّ القُبْحِ؛ ولا يقعَ فيه من له عِلمٌ بالعربيّة، فالمسلم الذي يريدُ الاحتراز عن الوقف القبيح يجبُ عليه أن يتعلَّمَ العربيّة.

١٩ انظر: البُرهان في علوم القرآن ٣٤٣/١.

٢٠ انظر: النَّشْر في القراءات العشر ٢٠٤/٢.

رابعاً: مكانة العربيّة في علم التّفسير.

التّفسيرُ وهو بيانُ معاني القرآنِ الكريم لا يستطيعُه امرؤٌ حتَّى يُحصِّلَ جملةَ علومٍ؛ منها علوم العربيّة: صرفاً ونحواً وبلاغةً...، ومن نافلةِ القولِ إنَّه واجبٌ على المسلم أنْ يتعلَّمَ العربيّةَ لكي يفهمَ القرآنَ الكريمَ، وسوف نعطي لذلك أمثلةً من علوم اللُّغة، والصَّرف، والنَّحو، والبلاغة.

أمَّا اللُّغةُ فالمقصودُ بها الألفاظُ المعجميّة، ففي قولِه تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) [الأنبياء:٨٧] قد يسألُ سائلٌ: كيف يظنُّ نبيُّ الله يونس أنَّ الله سبحانَه عاجزٌ ولا يقدِرُ عليه؟ وهل يليقُ هذا بالنَّبيّ؟ ولكنَّه لو كانَ مُطَّلِعاً في العربيّة لَعَرَفَ أنَّ هذا الفعلَ «نَقْدِر» هنا من القَدْر لا مِن القُدرة، وهو هنا بمعنى (نُضيِّق)، كما في قولِه: (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) [الفجر:١٦] (قدَرَ عليه رزقه: أي ضيّقَ عليه)، ومثلُه: (اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ) [الرّعد: ٢٦]، ومعنى الآية السَّابقة: أنَّ يونسَ عليه السَّلام غضب من هؤلاء القوم الذين لا يستجيبون إلى الإيمان وتَرَكَهم، وظنَّ أنَّ الله تعالى لن يُضيِّقَ عليه بالإقامة الجبريّة بين هؤلاء، ولن يُحتِّمَ عليه الاستمرارَ في تبليغ الدَّعوة لهؤلاء الذين لا يستجيبون، وظنَّ أنَّه إذا خرج من ذلك المكانِ سقطَت عنه مهمّةُ دعوتهم، وذلك اجتهادٌ منه، فعوتب بما حلَّ به.[٢١]

وأمّا الصَّرف فهو العِلمُ الذي يدرُسُ أحوالَ أبنية الكلمة، وتبدُّلاتَها الصَّوتيّة الداخليّة، بمعزلٍ عن هيئاتِها التَّركيبيّة. ولعلمِ الصَّرفِ أهميّةٌ في علم التَّفسير. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ) [البقرة:٢٣٣] على تقدير الباء للسَّببيّة أو للوساطة؛ فيكونُ المعنى نهياً للأمِّ والأبِ كليهما أنْ يُلحِقَ أحدُهما الأذى بالآخَر بسبب الولد أو بوساطتِه، لأنَّ الفعل مُضعَّفٌ، وأصلُه الصّرفيّ؛ إمّا (يُضارِر) على الفاعليّة، وإمّا (يضارَر) على المفعوليّة. فالأمُّ منهيّةٌ عن الإضرار بزوجِها بوساطة ولدِها، كأنْ تأبى إرضاعَه إضراراً بأبيه، أو تطلُبَ منه ما ليس بعدلٍ من الرِّزق والكِسوةِ، وأن تُشغِلَ قلبَه بالتَّفريطِ في شأنِ الولدِ، وما أشبَهَ ذلك..، والأبُ منهيٌّ عن الإضرار بزوجِه بوساطة ولدِه؛ كأنْ يأخُذَ الولدَ منها وهي تريدُ إرضاعَه، أو يمنعَها شيئاً ممّا وجَبَ عليه من رزقِها وكِسوتِها[٢٢]، ولعلَّ كلا الصِّيغتين مرادٌ، وهذا من بلاغة القرآن الكريم الذي يدلُّ على المعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة، ولكنّ الإنسانَ الذي ليس له علمٌ بالصَّرف لن يتنبَّه إلى هذا، فوجبَ على المسلمِ الأخذُ بشيءٍ من علم الصّرف.

---

٢١ انظر: التَّحرير والتَّنوير ١٣١/١٧.

٢٢ انظر: الكشّاف ٤٥٦/١.

وأمّا النَّحوُ فهو الموَكَلُ بضبطِ أواخرِ الكَلِمِ؛ ليعصمَ الكلامَ من الخطأ ويحفظَ عليه استقامتَه، ولا يتخيَّلُ عاقلٌ أنَّ امرأً يفهم القرآن الكريم وهو لا يعرفُ النَّحو؛ وبما أنَّ فهمَ القرآنِ واجبٌ، وفهمُ القرآنِ لا يتمُّ إلا بمعرفةِ النَّحو، فمعرفةُ النَّحو واجبة أيضاً.

ولاشَكَّ بأنَّ لعلمَي الإعراب والتَّفسير علاقةً وُثقى؛ ففي قولِه تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [آل عمران:٧] يختلفُ تفسيرُ الآية باختلاف إعراب حرف الواو «والرَّاسخون...»، أو يختلفُ إعرابُ الواو باختلاف التّفسير:

- فإذا أعربنا هذه الواو عاطفة؛ صار التَّفسير: إنَّما يعلمُ تأويلَ الآياتِ المتشابهات اللهُ تعالى والرّاسخون في العلم أيضاً.
- وإذا أعربنا هذه الواو استئنافيّة؛ صار التّفسير: إنَّما يعلمُ تأويلَ الآيات المتشابهات اللهُ تعالى فقط، وأمَّا الرّاسخون في العلم فيقولون: آمنّا به...

وهذا المثالُ البسيطُ يوضحُ لك علاقة التّفسير بالنَّحو، وله علاقةٌ أيضاً بعلم الوقف والابتداء، وهذه الآية من مهمّات مسائل العقيدة الإسلاميّة.

ولنعرفَ أهميّة إتقانِ علم النَّحو عندَ طلبِ العلم الشَّرعيّ؛ فلنتخيَّل أنَّ رجلاً يريدُ الطَّعنَ في القرآن الكريم جاءَ إلى مُسلمٍ لا يُتقنُ العربيّة ونحوَها، وقال له:

في القرآن الكريم أخطاء نحويّة؛ كرفعِ ما حقُّه النَّصبُ أو الجرُّ، أو جرِّ ما حقُّه الرّفعُ أو النَّصبُ،كما في الآية: (لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالمؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) [النّساء:١٦٢]؛ فالمعطوف الوحيد المنصوب في الآية هو: «المقيمين»، وما سبقه وما تلاه مرفوع: (الراسخون، المؤمنون، المؤتون، المؤمنون).

والحقيقة أنَّ في نصب «المقيمين» ستّةَ أقوالٍ للعُلماء، تُنظَر في مصادرِها، منها النَّصبُ على المدح، أي: أَمدحُ المقيمين، على رأي سيبويه[٢٣]. ولكنّ المسلمَ الذي لا يعرفُ علمَ النَّحوِ فلن يُجيبَ عن هذا السُّؤال، بل ربَّما حصلت له شُبهة بوجود الخطأ في القرآن الكريم (أستغفر الله)، ولا سيّما أنَّ في القرآن الكريم مواضعَ أخرى مُشابهة؛ كقولِه: (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [البقرة:١٧٧]، وقولِه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ

[٢٣] انظر: الكتاب ١/١٨٣.

هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾ [المائدة:٦٩]، فتعلُّم المسلم للعربيّة يدفعُ عنه الشُّبُهات، ويمكّنُه من الرَّدِّ على الطّاعنين. مع أنَّ لهذه المواضع المشكِلة إعرابيّاً أسراراً بلاغيّةً عظيمة.

لذا اجتهد علماءُ اللُّغة في إعراب القرآن الكريم، وبيانِ وجوهه الإعرابيّة وأثرِها في تعدُّد المعنى، مثل: «إعراب القرآن» للنَّحّاس (ت٣٣٨هـ-٩٥٠م)، و«مُشكِل إعراب القرآن» لمَكّيّ القيسيّ (ت٤٣٧هـ-١٠٤٥م)، و«التّبيان في إعراب القرآن» للعُكْبَرِيّ (ت٦١٦هـ-١٢١٩م) وغيرها من الكتب؛ لإيمانِهم بأنَّ فهْمَ التّركيب النَّحويّ للجملةِ هو الخطوةُ الأُولى لفهمِ معناها ومقصودها.

ولا شَكَّ بأنَّ لفهْم القرآن الكريم مراتبَ متعدِّدةً، فبعد معرفة معاني الكلمات التي يختصّ بها علمُ اللُّغة، ومعرفةِ الخصائص الصّوتيّة لكلّ كلمة ويختصّ به علم الصّرف، ومعرفةِ علاقات الكلمة الواحدة مع سياقِها وسباقِها من حيثُ العاملُ والمعمول ويختصّ بها علمُ النَّحو، يأتي دورُ علمِ البلاغة الذي ينظرُ إلى التّركيب اللُّغويّ ملتفتاً إلى قيمتِه الفنيّة والجماليّة وموافقته للمقام.

أمَّا علمُ البلاغةِ فهو — بلا ريبٍ — أشرفُ علومِ العربيّة؛ لأنَّه عُدَّةُ المفسِّر لكتاب الله تعالى، وقد نشأَ هذا العلمُ أصلاً لبيان الإعجاز الجَماليّ والبيانيّ والفنيّ في القرآن الكريم، وقد اجتهد العلماءُ في خدمة بلاغة القرآن الكريم، فصنَّفوا كتباً مهمّةً؛ منها: «تأويل مُشكِل القرآن» لابن قُتيبة (ت٢٧٦هـ-٨٨٩م)، و«دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ-١٠٧٨م)،و«الجُمان في تشبيهات القرآن» لابن ناقيا البغداديّ (ت٤٨٥هـ-١٠٩٢م)، و«البرهان في توجيه متشابه القرآن» للكَرْمانيّ (ت٥٠٥هـ-١١١٠م)، و«نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز»للرّازيّ (ت٦٠٦هـ-١٢١٠م)...، فضلاً عن التَّفاسير التي اعتنت بالجانب البلاغيّ والجماليّ لآيات القرآن الكريم؛ نحو: «الكشّاف» للزّمخشريّ (ت٥٣٨هـ-١١٤٣م)،و«نَظْم الدّرر في تناسُب الآيات والسُّور» للبِقاعيّ (ت٨٨٥هـ-١٤٨٠م)، و«التَّحرير والتَّنوير» لابن عاشور (ت١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)، وغيرها.

والمسلمُ الذي لا يعرفُ بلاغة العرب هو مظنّةُ الوقوع في الوهم في فهم الآيات، ومن أمثلةِ ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة:٤١]، هذه الآيةُ تنهى عن تحريف كلام الله كتابةً أو تأويلاً مقابلَ الثَّمن القليل، ومن لا يعرفُ البلاغة يظنُّ أنَّ النَّهي عن تحريف كلام الله تعالى منهيٌّ عنه في حال كان المالُ المعطى له «قليلاً»، وأمَّا في حالِ كان المقابلُ كثيراً فالأمرُ جائزٌ، كما يدلُّ ظاهرُ الآية.

علماًأنَّ النَّهيَ ههنا عن تحريفِ كلامِ الله مُطلقاً، سواء كان المقابِلُ صغيراً أو كبيراً، ولكن ذُكرت الصِّفةُ «قليلاً»؛ لتدلَّ على أنَّ أيَّ مقابلٍ يأخذُه الإنسانُ- ولو بلغ ذهَبَ الأرض - مقابلَ تحريف كلام الله تعالى فهو أجرٌ قليل قياساً بما فرَّطَ به من كلام الخالق، وقياساً بما ينتظرُه من العذاب، فهو خاسر ومغبون الصَّفْقَة. وفي هذا يقول الزَّمخشريّ (ت٥٣٨هـ-١١٤٣م): «والثَّمنُ القليلُ الرّياسةُ التي كانت لهم

في قومهم، خافُوا عليها الفواتَ لو أصبحُوا أتباعاً لرسول الله صلّى الله عليه وسلم، فاستبدلوها– وهي بَدَلٌ قليلٌ ومَتاعٌ يسيرٌ– بآياتِ الله وبالحقِّ الذي كلُّ كثيرٍ إليه قليلٌ، وكلُّ كبيرٍ إليه حقيرٌ»[٢٤].

وكذا في قولِه تعالى: (لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً) [آل عمران:١٣٠] فإذا سمع هذه الآيةَ رجلٌ لا يعرفُ بلاغةَ العربِ وطرائقَهم في تصريفِ الكلامِ فربَّما توهَّمَ أنَّ الرِّبا منهيٌّ عنه إذا كان «أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً»، وأمَّا إذا أخَذَ الدَّائنُ من مَدينِه ربحاً بسيطاً (فائدة) على أصل المال فإنَّ ذلك يَصِحُّ.

والحقُّ أنَّ النَّهيَ ههنا عن كلِّ أنواعِ الرِّبا؛ وقولُه «أضعافاً مُضاعَفة» حالٌ مؤكِّدة لكلمةِ الرِّبا، جيءَ بها لبيان قُبْحِ فِعلِهم، ولتوبيخِهم على ما كانُوا يفعلون من مُضاعَفة الدَّين مع مرور الوقت، وللتَّأكيدِ على خَطَرِه بالذَّاتِ؛ لأنَّه الأشَدُّ بلاءً على البلادِ والعباد؛ والدَّليل الآخرُ على تحريم كلِّ مقدارٍ من الرّبا قولُه تعالى في سورةٍ سابقة: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا...وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ)[البقرة: ٢٧٨-٢٧٩] فللدّائن أن يَستردَّ رأسَ مالِه غيرَ مزيدٍ عليه قليلاً أو كثيراً. وقد علَّق الزَّمخشريُّ (ت٥٣٨هـ-١١٤٣م) على الآية بقولِه: «(لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعافاً مُضاعَفَةً) نهيٌ عن الرِّبا مع توبيخٍ بما كانُوا عليه من تضعيفِه؛ كانَ الرَّجلُ منهم إذا بلَغَ الدَّينُ مَحِلَّه زادَ في الأجَلِ، فاستغرقَ بالشَّيء الطَّفيفِ مالَ المديون»[٢٥]. وقال الزَّرْكَشيُّ (ت٧٩٤هـ-١٣٩٢م): «وأَكْلُ الرِّبا مَنهِيٌّ عنهُ قَليلاً وكَثيراً، لكنَّها نزلَتْ على سَبَبٍ وهو فِعلُهم ذلك، ولأنَّهُ مَقامُ تشنيعٍ عليهم، وهو بالكثيرِ أَلْيَقُ»[٢٦].

والمشكلة أنّنا نواجهُ اليومَ في شاشات التّلفاز بعضَ مَن يدَّعون العلمَ بالفقهِ الإسلاميّ، ويُحلِّلون للنَّاس أشياءَ من المحرَّمات، ويلبِّسون على النّاس في تفسير الآيات، مُستغلِّين جهلَ المتلقِّي بعلم البلاغة العربيّة الذي هو علمٌ قرآنيٌّ قال فيه أبو هلال العسكريّ (ت٣٩٥هـ-١٠٠٥م): «اِعلمْ أنّ أحقَّ العلوم بالتَّعلُّم، وأَولاها بالتَّحفُّظ– بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه– علمُ البلاغة، ومعرفةُ الفصاحة، الذي به يُعرف إعجازُ كتاب الله تعالى»[٢٧]، وأمَّا السَّكّاكيُّ (ت٦٢٦هـ-١٢٢٩م) وهو يتكلَّمُ عن علمَي البيان والمعاني — وهما أساسُ علم البلاغة، فنبَّه إلى ضرورةِ الإحاطةِ بهما لأجلِ التَّفسير، فقال: «فالويلُ كلُّ

٢٤ انظر: الكشّاف ١٣٢/١.

٢٥ انظر: الكشّاف ٦٢٦/١.

٢٦ انظر: البرهان في علوم القرآن ٤٠١/٣.

٢٧ انظر: كتاب الصّناعتين، أبو هلال العسكريّ (ت٣٩٥هـ-١٠٠٥م)، تحقيق: عليّ محمّد البجّاويّ ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة. بيروت، ١٤١٩هـ. ص١

الويلِ لمن تعاطى التَّفسيرَ وهو فيهما راجلٌ»[٢٨]، وكلُّ ما سبقَ يُذكِّرُنا بحقيقةٍ راسخةٍ هي أنَّه لا يستطيعُ الإنسانُ أن يفهمَ القرآن الكريم، وأن يتدبَّر معانيَه، وأنْ يفهمَ أحكامَه ومقاصدَه إلّا إذا كان عارفاً بالعربيّة صرفِها ونحوِها وبلاغتِها، لذا كانت العربيّة ضرورةً شرعيّةً لكلِّ مسلم.

خامساً: مكانة العربيّة في علم الحديث الشَّريف.

الحديثُ النَّبويّ الشَّريف إنَّما هو شرحٌ لهدي القرآن الكريم وتبيانٌ لمعانيه، بالإضافة إلى أنَّه المصدرُ الثّاني للتَّشريع الإسلاميّ بعدَ القرآنِ الكريم، إذ لم يتضمَّنِ القرآنُ آياتٍ تشرحُ كيفيَّةَ الوضوءِ والصّلاة، وأحكامَ الحجِّ والزّكاة، واختلاف الظّروف والمناسبات، ومن هنا اكتسب الحديثُ صفةً قُدْسيَّة؛ نظراً للمهمَّة التّشريعيّة التي يقوم بها.

وقد اهتمَّ علماءُ أُمّتنا بعلم الحديث روايةً ودرايةً، وكانُوا حريصين أشدَّ الحِرصِ على التَّدقيقِ في السَّلامةِ اللُّغويّة للحديثِ المرويّ، ولا سيّما أنَّ كثيراً من رُواتِه كانوا أعاجمَ يُحتمَلُ من بعضهم اللَّحنُ، وبعضُهم كانَ يخشى الخطأَ اللُّغويّ في الحديث مخافةَ الكذب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقد قال الأصمعيُّ (ت٢١٦هـ): «إنَّ أخوفَ ما أخافُ على طالبِ العلمِ- إذا لم يعرفِ النَّحوَ- أن يَدخُلَ في جملةِ قولِ النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (مَن كذَبَ عليَّ فليتبوّأ مقعدَه من النّار)» [٢٩]، وعن حمّاد بن سلمة (ت١٦٧هـ-٧٨٣م) أنَّه قال: « مَثَلُ الذي يطلبُ الحديثَ ولا يعرفُ النَّحوَ مَثَلُ الحمارِ عليه مِخْلاةٌ لا شعيرَ فيها»[٣٠]، وسبق أن ألمحْنا إلى قصّة سيبويه كيف كان يطلبُ علمَ الحديث وأخطأ في حضرة أُستاذه حمّاد بن سلَمة بقولِه: (رعُفَ)، فانتهره أُستاذُه، وقال: أخطأتَ، إنَّما هو (رعَفَ) بفتح العين[٣١].

فأكبرُ عالمٍ في النَّحو العربيّ كانَ يطلبُ الحديث النبويّ الشّريف، ولكنّه اتَّجه إلى دراسة اللُّغة العربيّة حتّى يُقوِّمَ لسانَه، ويتبصَّر بلغة العرب؛ كيلا يُخطئ في الحديث النبويّ الشَّريف.إذاً ينبغي لطالب

٢٨ انظر: مفتاح العلوم، السَّكّاكيّ (ت٦٢٦هـ-١٢٢٩م)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م. ص١٦٢.

٢٩ انظر: التّقييد والإيضاح شرح مقدّمة ابن الصّلاح، الحافظ العراقيّ (٨٠٦هـ-١٤٠٣م)، تحقيق: عبد الرّحمن محمّد عثمان، المكتبة السّلفيّة بالمدينة المنوّرة، ط١، ١٩٦٩م. ص٢٢٩.

٣٠ انظر: التّقييد والإيضاح ص٢٢٩.

٣١ انظر: تدريب الرّاوي في شرح تقريب النّواويّ ، السّيوطيّ (ت٩١١هـ-١٥٠٥م)، تحقيق: أبو قُتيبة محمّد الفاريابيّ، دار طيبة. ٥٤١/١.

الحديث النّبويّ الشّريف . إذا أرادَ أن يبتعدَ بنفسِه عن الخطأ في روايةِ كلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . أن يبذل الجهدَ في تعلُّمِ النَّحو واللُّغة.

ولا شكَّ في أنَّ العلاقةَ بين علم الحديث وعلوم العربيّة كانت علاقة تبادليّةً، إذ استفادَ علماءُ العربيّة من نصوص الحديث النبويّ للاستشهاد، في حين أثارَ الحديث النبويّ حركةً تأليفيّة لغويّةً لشرحه؛ من ذلك كتاب: «غريب الحديث» لأبي عُبيد القاسم (ت٢٢٤هـ-٨٣٨م)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ-٨٨٩م)، و«غريب الحديث» لإبراهيم الحربيّ (ت٢٨٥هـ-٨٩٨م).

ولم تكن العنايةُ بالحديث معجميّةً فقط، وتقتصرُ على بيان غريبِه، بل اجتهد علماؤنا في تصنيف الكتب التي تشرحُ الحديث ملتفتةً إلى كلّ ما يحيط بالحديث من مسائل لغويّة ونحويّة وبلاغيّة؛ ومن ذلك كتاب: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ-٨٨٩م)، و«مُشكِل الحديث وبيانه»لابن فورك الأصبهانيّ (ت٤٠٦هـ-١٠١٥م)، و«فَتْح الباري شرح صحيح البخاريّ» لابن حجر العَسْقَلانيّ (ت٨٥٢هـ-١٤٤٩م)، وثمّة كتبٌ كثيرةٌ غيرُها اعتنت بالحديث النّبويّ الشّريف من الجوانب اللّغويّة.

ولاغرابةَ في ذلك؛ لأنَّ النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان أفصحَ العرب، وقد أُوتي جوامعَ الكَلِم، واختُصر له الكلامُ اختصاراً، ولا يخفى على مُطالِع كُتُب البلاغة بأقسامها المختلفة البديع والبيان والمعاني ما أَولاه واضعوها من العناية بالحديث الشّريف، فلا يكاد يخلو بابٌ من أبوابها من التّمثيل بحديث شريف؛ لأنَّ الحديث النّبويّ كنزٌ بلاغيٌّ لا تنقضي عجائبُه، وكذا القواميسُ العربيّة القديمةُ زاخرةٌ بالشَّواهد من الحديث الشّريف. وبالجملة فقد استفاد علماء العربيّة بفنونها المختلفة من الحديث الشّريف وجعلوه أصلاً يعتمدون عليه في تقرير كثير من المسائل، وبالمقابل لا يستطيع المسلمُ أنْ يتفهَّم الحديثَ الشَّريف فهماً صحيحاً، وأن يستنبطَ منه توجيهاً أو حكماً إذا لم يتعلَّم اللّغة العربيّة، لغة القرآن والسُّنّة.

سادساً: مكانة العربيّة في علم الفقهِ، وأصولِه.

لا ريبَ في أنَّ علمَ أُصولِ الفقهِ الذي زهِدَ فيه كثيرٌ من أبناءِ أمتنا في هذا العصر، كما زهدت فيه بعض المؤسّسات التَّعليمية في عالمنا الإسلاميّ، لا ريبَ في أنَّه رأسُ علوم الشَّرع؛ لأنَّ المسلم – وإنْ تعلَّم تفسير القرآن الكريم، وأتقنَ علم مصطلح الحديث وحفظَ متونَه — يبقى في حاجةٍ إلى علم أُصول الفقه؛ لأنَّ أصول الفقه يُعلِّمنا القوانين الدّقيقة التي تُمكِّنُ المجتهدَ من استنباطِ الأحكامِ الشَّرعيّة من أدلّتها، ولا يستطيعُ المجتهدُ أن يستنبطَ الأحكامَ من الكتاب والسُّنّة إلّا إنْ أحاطَ بلُغة العرب نحوِها وصرفها وبلاغتها وقوافيها.

لذلك ترى مُصنَّفاتِ أصول الفقه تهتمُّ اهتماماً كبيراً بالمباحث اللغويّة والبلاغيّة التي يُؤسَّسُ عليها استنباطُ الأحكام، والتي يُمكن تسميتُها بالقواعد الأُصوليّة اللُّغويّة؛ كدراسة خصوص اللّفظ وعمومه، وإطلاقه وتقييده، ودلالات أسلوب الأمر، وأسلوب النّهي، والمُشترَك، والحقيقة والمجاز، والكناية والتَّصريح، والقرائن اللُّغوية، وغير ذلك من المسائل اللّغويّة العميقة التي لا يتمكّنُ من إدراكِها إلّا مُتقنٌ للّغة العربيّة، فطالبُ العلمِ الذي نوى تعلُّمَ أصولِ الفقهِ لا مَفَرَّ له من إتقانِ العربيّة كشرطٍ لازمٍ وغير كافٍ لإتقان علم الأُصول.

أمّا في الفقهِ نفسِه فإنّنا نرى أنَّ بعضاً من اختلافات الفقهاء في الأحكام الفروع يعودُ إلى الفهم اللُّغويّ والبلاغيّ؛ كالمشترك، وتردُّدِ اللَّفظِ بينَ الحقيقةِ والمجازِ، أو تردُّدِ العبارةِ بين التَّصريحِ والكنايةِ، فضلاً عن دلالةِ الأمرِ والنَّهي المطلقَين، وغيرِ ذلك. وسنكتفي هنا بمثالٍ لغويّ، وآخر نحويّ، وثالث بلاغيّ.

أمّا اللُّغويّ فمن المشترك؛ فقولُه تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) [البقرة:٢٢٨] أوجبَ المولى على كلِّ امرأةٍ طلَّقَها زوجُها بعدَ الدُّخولِ - وهي غيرُ حاملٍ - أنْ تعتدَّ مُدَّةً «ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ» إذا كانَت ممّن يَحِضْنَ[٣٢]. ومعلومٌ في العربيّةِ أنَّ لفظَ (قَرْء) من الأضدادِ؛ فيكونُ للطُّهرِ ويكونُ للحَيْض[٣٣]، ومن هنا اختلفَ تفسيرُ الكلمةِ واختلفَتْ أقوالُ الفُقهاءِ: هل المرادُ ثلاثُ حَيْضاتٍ؟ أم ثلاثةُ أطهارٍ؟ واجتهدَ كلٌّ من الفريقين في حَشْدِ قرائنَ خارجيّةٍ (غير قطعيّة) يَستدلُّ بها على صِحّة مذهبِه، وليس هذا مكانَ عَرْضِها؛ لأنَّها مبسوطةٌ في كُتُبِ الفقهِ، وإنَّما الغايةُ هنا بيانُ أثرِ الظَّواهرِ اللُّغويّةِ والبلاغيّةِ في اجتهادِ الفُقَهاءِ.

وأمّا المثالُ النَّحويُّ فقولُه تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) [المائدة:٦]. فقد اتَّفَقَ الفُقهاءُ على وُجوبِ مسحِ الرَّأسِ، ولكنّهم اختلفوا في القَدْرِ الواجب فيه، والحدّ الأدنى الذي يُكتفَى به،فقال الشّافعيّة: يُجزِئُ مَسْحُ بعضِ الرَّأس، وقال الحنابلة: لا يُجزئُ إلّا مسحُ جميع الرَّأس.

٣٢ انظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله القرطبيّ (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردونيّ وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة - القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م. ١١٢/٣. والتَّحرير والتَّنوير٢/٣٨٨.

٣٣ انظر: لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ-.....م)، عُني بتصحيح طبعته أمين عبد الوهّاب ومحمّد العبيديّ، دار إحياء التُّراث العربيّ - بيروت، بلا طبعة وتاريخ. مادة (قرء).

ومنشأ الخلاف في قوله تعالى: «وامسحوا برؤوسكم»هو حرفُ «الباء»؛ فالباء عند الشّافعيّ للتّبعيض، كأنّه قال: امسحوا بعضَ رؤوسكم، وأمَّا الحنابلةُ فهذه الباء عندَهم للإلصاق؛ أي: ألصقوا المسحَ بها من غير إسالةِماءٍ(٣٤).

كما اتَّفقَ الفُقَهاءُ على وُجوبِ غسلِ اليدين، ولكنَّهم اختلفوا في وجوب دخولِ المِرفقين في الغسل؛ فعند الجمهور واجب، أما عند زُفَر (ت١٥٨هـ-٧٧٥م) من الحنفيّة، وداود الظّاهريّ (ت٢٧٠هـ-٨٨٤م)، وبعض المتأخّرين من المالكيّة فإنّه لا يجبُ.

وذلك لأنّ معنى «إلى» في قوله «إلى المرافق» لانتهاء الغاية، فلا يدخل ما بعدها فيما قبلها كعدم دخول اللَّيل في قوله (ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) [البقرة:١٨٧]، أمّا الجمهور فيرون أنّ«إلى» كما ترد للغاية فإنها تردُ بمعنى «مع»؛ نحو قوله تعالى: (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) [هود:٥٢]: أي مع قوتكم(٣٥). وهذا ينطبق على الكعبين في قوله تعالى: «...إلى الكعبين».

إلّا أنَّ الفقهاءَ اختلفُوا في غسل الرِّجلين، هل هو الواجبُ أم مسحُهما؟ فعند الجمهور الواجب هو الغسلُ، وعند الإماميّة الواجب هو المسْحُ(٣٦)، بينما الطَّبَرِيُّ(ت٣١٠هـ-٩٢٣م)خَيَّرَ بينَ الغسلِ والمسحِ(٣٧).

وسببُ الخلاف أنَّ لفظة «أرجلكم» وردت في قراءة ابن كَثير وحمزة وغيرهما بكسر اللّام، فعطفَها مَن قال بوجوب المسح على «رؤوسكم» معمول «امسحوا»، وتأوَّلَ قراءةَ النَّصب على محلّ «برؤوسكم». في حين أخذَ القائلون بوجوب الغسل بقراءة نافع وحفص عن عاصم وغيرهما بنصب «أرجلَكم»، على أنها معطوفة على الوجوه والأيدي معمولَي«اغسلوا»، وتأوَّل قراءةَ الجرّ على مجاورة

٣٤ انظر: المُغني، ابن قدامة المقدسيّ (ت٦٢٠هـ-١٢٢٣م)، مكتبة القاهرة، ١٩٦٨م. ٩٣/١.

٣٥ انظر: تُحفة الفقهاء، السَّمَرقنديّ (ت٥٤٠هـ-١١٤٥م)، دار الكتب العلميّة، بيروت — لبنان، ط٢، ١٩٩٤م. ٩/١. وبدائع الصَّنائع في ترتيب الشَّرائع، الكاسانيّ (ت٥٨٧هـ-١١٩١م)، دار الكتب العلميّة، ط٢، ١٩٨٦م.٢٦٨/٥. وبداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد (ت٥٩٥هـ-١١٩٨م)، دار الحديث — القاهرة، ٢٠٠٤م. ١٨/١.

٣٦ انظر: تفصيل وسائل الشِّيعة إلى تحصيل مسائل الشَّريعة، الحرّ العامليّ (ت١١٠٤هـ-١٦٩٢م)، مؤسّسة آل البيت لإحياء التّراث، إيران، قُم. ٣٩٢/١.

٣٧ انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطّبريّ (ت٣١٠هـ-٩٢٣م)، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، مؤسّسة الرّسالة، ط١، ٢٠٠٠م. ٦٣/١٠.

«أرجلكم» لـ «برؤسكم»[٣٨]، ومن قال بالتّخيير جمع بين القراءتين بلا تأويل[٣٩].وهذا مثالٌ على أثرِ النَّحو في اجتهاد الفقهاء.

وأمَّا المثالُ البلاغيُّ فعبارة «لَامَسْتُم النِّساء» في قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا) [النساء:٤٣]فيحتملُ أنْ يكونَ «لَامَسْتُم النِّساء» مقصوداً به ظاهرُه، ويحتملُ أنْ يكونَ المرادُ به الكنايةَ عن الجِماعِ.

لذا يقولُ ابنُ عاشور (ت١٣٩٣هـ-١٩٧٣م): «والمُلامَسَةُ هنا يُحتَمَلُ أنْ يكونَ المرادُ منها ظاهرها، وهو الملامَسةُ بمُباشرةِ اليدِ أو بعضِ الجَسَدِ جسَدَ المرأة...، وبذلك فسَّرَهُ الشّافعيُّ (ت٢٠٤هـ-٨٢٠م)، فجعَلَ لَمْسَ الرَّجُلِ بيدِه جسَدَ امرأتِه مُوجِباً للوُضوء، وهو مَحْمَلٌ بعيدٌ؛ إذْ لا يكونُ لَمْسُ الجسَدِ مُوجِباً للوُضوء، وإنَّما الوضوءُ مِمّا يَخرُجُ خُروجاً مُعتاداً. فالمَحمَلُ الصَّحيحُ أنَّ المُلامَسةَ كنايةٌ عن الجِماعِ،... ولم يَجِبْ عندَ مالكٍ(ت١٧٩هـ-٧٩٥م) وأبي حنيفةَ (ت١٥٠هـ-٧٦٧م) الوضوءُ مِن لَمْسِ الرّجُلِ امرأتَه ما لم يَخرجْ منه شيءٌ، إلّا أنَّ مالِكاً قالَ: إذا الْتَذَّ اللّامِسُ أو قَصَدَ اللَّذَّةَ انتقضَ وُضوْءُه، **وحَمَلَ المُلامَسَةَ على مَعنييها الكِنائيّ والصَّريح...**»[٤٠].

فتنوُّع تأويل الأئمَّةِ للتَّعبير «لامسْتُم»بينَ الصَّريح كما فهمَه الشّافعي (ت٢٠٤هـ-٨٢٠م)، والكِنائيّ كما عندَ أبي حنيفةَ (ت١٥٠هـ-٧٦٧م)، أو الجمع بين المعنيين الكِنائيّ والصَّريح كما عند الإمام مالك (ت١٧٩هـ-٧٩٥م)،بسبب اختلاف الفهم البلاغيّ وتأرجح الدلالة بين الكناية والتَّصريح[٤١].وفي هذه الأمثلة دلالةٌ على تعلُّق علم الفقه وأصوله بعلوم العربيّة.

ولا بُدَّ من الإشارةِ إلى أنَّ المقالَ لا يدعو كُلَّ مسلمٍ إلى التَّبحُّرِ في علوم العربيّة حتَّى يبلغَ ما بلغَ الأئمّةُ كالخليل(ت١٧٠هـ-٧٨٦م)، وسيبويه(ت١٨٠هـ-٧٩٦م)،والأخفش (ت٢١٥-٨٣٠م)، وابن جنّيّ (ت٣٩٢هـ - ١٠٠٢م)، والزّمخشريّ (ت٥٣٨ هـ - ١١٤٣م)، بل يدعو كلَّ مسلمٍ لأنْ يتعلَّمَ

٣٨ ومعلومٌ أنَّ العربَ قد تُعطي الشَّيءَ حُكْمَ مُجاوِرِه؛ كقولِ بعضِهم: "هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ" انظر: مُغني اللَّبيب ٨٩٤/١.

٣٩ انظر: الكشّاف ٦١٠/١، والجامع لأحكام القرآن ٩٣/٦، والتَّحرير والتَّنوير ١٣٠/٦.

٤٠ انظر: التَّحرير والتَّنوير ٦٧/٥.

٤١انظر: الدُّرّ المنثور في التَّفسير بالمأثور، السُّيوطيّ (ت٩١١هـ-١٥٠٥م)، دار الفكر – بيروت.٥٤٩/٢، وروائع البيان (تفسير آيات الأحكام)، محمّد عليّ الصّابونيّ، مكتبة الغزاليّ – دمشق، ط٣، ١٩٨٠م.٤٨٧/١. وفيه تفصيل أقوال الفقهاء وحُجَجِهم.

من علومِ العربيّة الحدَّ الأدنى الذي يُمكِّنُه من فهم المبادئ الدّينيّة الأساسيّة من القرآن الكريم الذي يقرؤه في صلاته، فيستطيعُ التَّمييز بين الحقيقة والمجاز، والكناية والتَّصريح، ومعاني مفردات القرآن، ومقاصد الآيات، بحيث يفهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً عندَ قراءته.

ويذكِّرُ المقالُ طالبَ العلمِ الشَّرعيّ بضرورةِ إتقان اللُّغة العربيّة وعلومها؛ لأنَّ الشَّريعةَ الإسلاميّة بلسانٍ عربيّ، ومَن أرادَ أنْ يتعلَّم شريعتَه فلا بُدَّ أن يتعلَّمَ لسانها. ومَن كانَ مُبتدئاً في فهم العربيّة فهو كذا مبتدئٌ في علوم الشَّريعة، ومَن كان متوسِّطاً في العربيّة فهو متوسِّطٌ في علوم الشَّريعة، ومَن كانَ مُتقناً لعلوم العربيّة فقد وضعَ قدمَه على الخطوة الأُولى في الطَّريق الصَّحيح لتلقّي علوم الشَّريعة، وكلُّ مَن يطلبُ العلمَ الشَّرعيّ وهو غيرُ مُجيدٍ للعربيّة ويظنُّ خلافَ ما ذُكِر؛ فهو يُخادِعُ نفسَه، ويُضلِّلُ ذاتَه.

والنّاظرُ في جامعاتنا ومساجدنا اليومَ يرى يقيناً مدى تراجُع المستوى العلميّ في الدّراسات الشّرعيّة، ولا شكَّ بأنَّ أحدَ أسباب هبوط الدّراسات الشَّرعيّة هو الضّعف المتزايد في اللّغة العربيّة عندَ الأساتذة قبل الطّلّاب، وعند العرب قبل غيرهم من المسلمين، وهذا يُحتِّمُ علينا إحياءَ تُراثنا اللُّغويّ والنُّهوض بالمعرفة اللّغويّة، ومَن أرادَ أنْ يُقوِّيَ عربيّتَه؛ فليتذكَّر دائماً أنَّ القرآنَ الكريمَ هو كتابُ العربيّةِ الأوّلُ وصراطُها المستقيم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحّاس (ت٣٣٨هـ-٩٥٠م)، تحقيق: عبد المنعم إبراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، القِفْطيّ (ت٦٤٦هـ-١٢٤٨م)،)، المكتبة العصريّة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد (ت٥٩٥هـ-١١٩٨م)، دار الحديث – القاهرة، ٢٠٠٤م.

بدائع الصَّنائع في ترتيب الشَّرائع، الكاسانيّ (ت٥٨٧هـ-١١٩١م)، دار الكتب العلميّة، ط٢، ١٩٨٦م.

البُرهان في علوم القرآن ، الزَّرْكَشيّ (ت٧٩٤هـ-١٣٩٢م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، مصر . القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.

تأويل مُشكِل القرآن، ابن قُتَيبة الدِّيْنَوَريّ (ت٢٧٦هـ-٨٨٩م)، تحقيق: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت . لبنان، ٢٠٠٧م.

التَّحرير والتَّنوير، الطّاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)، الدّار التّونسيّة للنّشر . تونس، ١٩٨٤م.

تُحفة الفقهاء، السَّمَرقنديّ (ت٥٤٠هـ-١١٤٥م)، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩٤م.

تدريب الرّاوي في شرح تقريب النّواويّ ، السّيوطيّ (ت٩١١هـ-١٥٠٥م)، تحقيق: أبو قُتيبة محمّد الفاريابيّ، دار طيبة.

تفصيل وسائل الشِّيعة إلى تحصيل مسائل الشَّريعة، الحرّ العامليّ (ت١١٠٤هـ-١٦٩٢م)، مؤسّسة آل البيت لإحياء التّراث، إيران، قُم.

التّقييد والإيضاح شرح مقدّمة ابن الصّلاح، الحافظ العراقيّ (٨٠٦هـ-١٤٠٣م)، تحقيق: عبد الرّحمن محمّد عثمان، المكتبة السّلفيّة بالمدينة المنوّرة، ط١، ١٩٦٩م.

جامع البيان في تأويل القرآن، الطّبريّ (ت٣١٠هـ-٩٢٣م)، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، مؤسّسة الرّسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله القرطبيّ (ت٦٧١هـ-١٢٧٣م)، تحقيق: أحمد البردونيّ وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة.

الدُّرّ المَصون في علوم الكتاب المكنون، السَّمين الحلبيّ (ت٧٥٦هـ-١٣٥٥م)، د. أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دمشق.

الدُّرّ المنثور في التَّفسير بالمأثور، السُّيوطيّ (ت٩١١هـ-١٥٠٥م)، دار الفكر – بيروت.

روائع البيان (تفسير آيات الأحكام)، محمّد عليّ الصّابونيّ، مكتبة الغزاليّ - دمشق، ط٣، ١٩٨٠م.

سبب وضْع عِلم العربيّة، السُّيوطيّ (ت٩١١هـ-١٥٠٥م)، تحقيق: مروان العطيّة، دار الهجرة بدمشق، ط١، ١٩٨٨م.

كتاب الصّناعتين، أبو هلال العسكريّ (ت٣٩٥هـ-١٠٠٥م)، تحقيق: عليّ محمّد البجاويّ ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة . بيروت، ١٤١٩هـ.

الكتاب، سيبويه (ت١٨٠هـ-٧٩٦م)، تحقيق: عبد السَّلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

الكشَّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، الزَّمخشريّ (ت٥٣٨هـ-١١٤٣م)، دار الكتاب العربيّ . بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ-١٣١١م)، عُني بتصحيح طبعته أمين عبد الوهّاب ومحمّد العبيديّ، دار إحياء التُّراث العربيّ – بيروت، بلا طبعة وتاريخ . القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

مَجاز القرآن، أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى (ت٢٠٩هـ-٨٢٤م)، تحقيق: محمّد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي– القاهرة، ١٣٨١هـ.

معاني القرآن، الفَرَّاء (ت٢٠٧هـ-٨٢٢م)، تحقيق: النَّجاتي والنَّجار والشّلبيّ، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة – مصر، ط١.

مُغني اللَّبيب عن كُتُب الأعاريب، ابن هِشام الأنصاريّ (ت٧٦١هـ-١٣٦٠م)، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد عليّ حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.

المُغني، ابن قدامة المقدسيّ (ت٦٢٠هـ-١٢٢٣م)، مكتبة القاهرة، ١٩٦٨م.

مفاتيح الغيب = التّفسير الكبير، الفخر الرّازيّ (ت٦٠٦هـ-١٢١٠م)، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

مفتاح العلوم، السَّكّاكيّ (ت٦٢٦هـ-١٢٢٩م)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

منظومة المقدّمة الجَزَرِيّة، ابن الجَزَرِيّ (ت٨٣٣هـ-١٤٢٩م)، دار المغني للنّشر والتّوزيع، ط١، ٢٠٠١م.

النَّشْر في القراءات العشر، ابن الجزريّ (ت٨٣٣هـ-١٤٢٩م)، تحقيق: عليّ محمّد الصبّاغ، المطبعة التّجاريّة الكبرى، والنّسخة مصوَّرة في دار الكتب العلميّة، بيروت.